

## البعد البيئي والإنساني في قصة "دومة" لوجدي الأهدل

د/ سميرك. ش.

أستاذ مساعد، قسم العربية، كلية م. س. م. كايمكولم، كيرلا، الهند

### الملخص

هذه الورقة البحثية تتناول قصة "دومة" للكاتب وجدي الأهدل<sup>1</sup> بوصفها نصا سرديا ينتمي إلى الأدب العربي المعاصر ذي النزعة الطبيعية والإنسانية، حيث تتجلى البيئة فيه بوصفها فاعلا مركزيا لا مجرد خلفية للأحداث. وتنطلق الورقة من تحليل المكان البيئي المتمثل في بئر برهوت، باعتباره فضاء دلاليا تتقاطع فيه المعرفة العلمية، والبعد الأسطوري، والرؤية الفلسفية للعلاقة بين الإنسان والبيئة والطبيعة. وتستعرض الدراسة كيفية توظيف الكاتب لشخصية همود بن محفوظ، أستاذ الجغرافيا، بوصفه ممثلا للعقل العلمي الذي يسعى إلى فهم الطبيعة خلال البحث والتوثيق، غير أن رحلته العلمية تتحول تدريجيا إلى رحلة كشف وتأمل، تضع الإنسان في مواجهة مباشرة مع قوة البيئة وعمقها وغموضها.

وتخبر الدراسة أن القصة تعالج قضية الموارد المائية بوصفها قضية وجودية، لا تقنية فحسب، إذ يقدم الماء في النص باعتباره أساس الحياة ومحورا للتوازن البيئي، ويلمح السرد إلى خطورة التعامل معه بعقلية الاستغلال والسيطرة. كما تبرز الدراسة عن حضور خطاب أخلاقي واضح يسوق إلى العدالة البيئية، ويسخ أن جميع الكائنات الحية تمتلك حقا متساويا في الوجود، وأن الإخلال بهذا التوازن ناتج عن غرور الإنسان وشعوره الزائف بالتفوق. وتؤكد الدراسة أن وجدي الأهدل يوظف الرمز والتشبيه والأسطورة ليبني خطابا نقديا يحمل الإنسان مسؤولية الخراب البيئي، سواء في الماضي أو في الحاضر.

<sup>1</sup> وجدي الأهدل كاتب وروائي يمني معاصر، يعد من الأصوات السردية البارزة والجريئة في الأدب العربي الحديث. عرف بكتاباتة التي تعكس الواقع الاجتماعي والسياسي في اليمن، وتتناول قضايا الفقر، والفساد، والسلطة، والتمييز الإنساني بجرأة لافتة. يتميز أسلوبه بالسخرية السوداء والرمزية، مع لغة سردية مباشرة وقوية تقترب من حياة الناس اليومية. كما يوظف المكان والتراث الشعبي والأسطورة توظيفا فنيا يمنح نصوصه عمقا ثقافيا وإنسانيا. من أبرز أعماله رواية "قوارب جبلية" وقصته القصيرة دومة، التي تكشف اهتمامه بالعلاقة بين الإنسان والبيئة والمكان. وقد أثار كتاباته نقاشات وجدلا واسعا بسبب جرأتها وطرحها غير التقليدي، مما رسخ مكانته ككاتب مؤثر في السرد العربي المعاصر.

وتخلص الدراسة إلى أن قصة "دومة" تمثل نموذجا متقدما للأدب البيئي في السرد العربي، لما تحمله من دعوة واضحة إلى الوعي البيئي، وإلى تبني رؤية علمية وأخلاقية متوازنة في التعامل مع الطبيعة، ولا سيما موارد المياه، بوصف ذلك شرطا أساسيا لاستمرار الحياة واستقرارها على كوكب الأرض.

## المقدمة

أصبح الاهتمام بالقضايا البيئية سمة بارزة في الأدب العالمي خصوصا في العربي المعاصر، في ظل تصاعد الأزمات البيئية الناتجة عن الاستغلال المفرط للموارد البيئية، والتدخل غير المتوازن للإنسان في النظم البيئية. ولم يعد الأدب ينظر إلى البيئة بوصفها عنصرا ثانويا أو إطارا جماليا للأحداث، بل تحولت إلى موضوع مركزي يحمل أبعادا فكرية وأخلاقية واسعة. وفي هذا السياق تندرج قصة "دومة" للكاتب وجدي الأهدل، التي تقدم معالجة سردية خاصة للعلاقة بين الإنسان والبيئة، من خلال استحضار بئر برهوت بما تحمله من رمزية تاريخية وجغرافية وأسطورية.

وتستمد القصة أهميتها من توظيفها للمعرفة العلمية داخل البناء السردية، حيث يقوم بطلها، وهو أستاذ في الجغرافيا، برحلة بحثية تسهم إلى دراسة البئر وتوثيقها علميا. وهذا المسار العلمي لا يبقى محصورا في حدود المعرفة الأكاديمية، بل يتحمل مع أسئلة وجودية وأخلاقية تتعلق بمكانة الإنسان في الكوكب الأرض، وبحدود سلطته على البيئة. وتحت هذه الورقة على تحليل التجليات البيئية والإنسانية في القصة، والكشف عن الخطاب النقدي الذي يمرره الأديب حول مسؤولية الإنسان تجاه الموارد البيئية، ولا سيما المياه، وعن أثر الغرور الإنساني في اختلال التوازن البيئي.

كما تهدف الدراسة إلى إبراز إسهام "دومة" في تأكيد مفهوم الأدب البيئي داخل السرد العربي الحديث، من خلال قراءة النص في ضوء مقاربات نقدية معاصرة، تؤكد أن الأدب يمكن أن يؤدي دورا فاعلا في تنمية الوعي البيئي، وفي إعادة بناء الربط بين الإنسان والبيئة على أسس أكثر توازنا بارزا واحتراما جليا.

## تمهيد نقدي وسياق عام للنص

تندرج قصة "دومة" للأديب وجدي الأهدل ضمن السرد القصصي الذي يزاوج بين البعد المعرفي والبعد الرمزي، حيث إن الكاتب يتخذ من "بئر برهوت"<sup>2</sup> فضاء مركزيا لبناء رؤيته الفكرية والبيئية.

<sup>2</sup> بئر برهوت هو بئر شهير يقع في محافظة المهرة شرقي اليمن، ويعرف في التراث الشعبي باسم "قعر جهنم" لعمقه الكبير وغموضه. ارتبط البئر بأساطير ومعتقدات قديمة تصوره مكانا مخيفا تسكنه الأرواح، غير أن الدراسات الحديثة تشير إلى أنه ظاهرة جيولوجية طبيعية ذات عمق كبير ومياه راكدة. وقد

لا يقدم الكاتب البئر بوصفها مجرد معلم جغرافي أو أسطورة شعبية، بل يحولها إلى حيز دلالي تتقاطع فيه المعرفة العلمية مع الأسئلة البيئية والوجودية. ومن خلال رحلة علمية يقوم بها همود بن محفوظ، بطل هذه القصة، أستاذ الجغرافيا ورئيس قسمها في جامعة حضرموت، يفتح النص أفقا سرديا يتجاوز حدود الاستكشاف العلمي ليؤدي إلى مساءلة علاقة الإنسان بالبيئة وبمصادر المياه. هكذا تتأسس القصة منذ بدايتها على وعي علمي بين، يتمثل في رغبة البطل في إعداد تقرير لمجلة "ناشيونال جيوغرافيك"، وهو ما يمنح السرد مشروعية معرفية ويكسبه طابعا توثيقيا يعاون صدقيته ويبرئ القارئ لقراءة النص بوصفه خطابا بيئيا بامتياز.

### الرحلة العلمية وبناء المعرفة البيئية

تحيط القصة في بنيتها السردية بفكرة الرحلة بوصفها وسيلة لاكتشاف المكان وإعادة فهمه، إذ يسير همود بن محفوظ إلى بئر برهوت بعد مرور عشر سنوات على زيارته الأولى، وقد تحول فضوله من مستوى النظر الخارجي إلى الرغبة في النزول إلى الأعماق. هذا الانتقال يعكس تطورا في الوعي العلمي والإنساني معا، حيث لا يكتفي همود بن محفوظ بالملاحظة السطحية، بل يسعى إلى جمع الصور والعينات وتحليل الماء والصخور. ويرسخ هذا البعد بوضوح في المشهد الذي تصفه القصة عند النزول إلى البئر، حيث تكشف عن رهبة المكان وغموضه في صورة سردية كثيفة كما ورد في القصة: "سمع بوضوح صوت هدير الماء الذي كان يزداد قوة..صورة على هيئة بومة لها رأس إنسان ويدها اليمنى مرفوعة للأعلى وتُمسك بالقعسري - خشبة الرحي - المتصلة برحي تامة الاستدارة."<sup>3</sup> تتجاوز هذه الصورة بعدها الوصفي لتؤسس تداخلا بين الواقعي والأسطوري، وتبرز رؤية الكاتب التي ترى في البيئة كيانا نابضا بالمعاني، لا مجرد مادة خام للبحث أو الاستغلال.

### الماء والبيئة بوصفهما قيما إنسانية

يحرص الكاتب على تأكيد خطاب بيئي واضح من خلال ربط بئر برهوت بجميع موارد المياه الأخرى، مؤكدا ضرورة الحفاظ عليها بوصفها أساس الحياة تاما. ويكشف على هذا التوجه في وصف خطوات البطل داخل الكهف، حيث يصور السلوك الحذر بوصفه دلالة على احترام البيئة وعدم

أثار اهتمام الرحالة والباحثين ووسائل الإعلام، لما يجمعه من غموض طبيعي وحمولة ثقافية وأساطير متوارثة، فصار رمزا لتداخل العلم بالخيال في الذاكرة الشعبية اليمنية.

<sup>3</sup> الأهدل، وجدي. "دومة". بربير الثقافي. (2018). تاريخ المراجعة: 2018/09/24.

<http://alantologia.com/blogs/3228/>

اقتحامها بعنف أو غرور، كما ورد في القصة: "اقترب بخطوات حذرة ، انحنى وشغل كشافه اليدوي...ثم قرر أن يستكشف الكهف الذي يجري فيه الماء ليتتبع مساره"<sup>4</sup>. "يمنح هذا المشهد بعدا تربويا واضحا، إذ يسوق القارئ ضمنا إلى تبني منهج علمي مسؤول في التعامل مع البيئة، قائم على الفهم والدراسة لا على الاستنزاف والتدمير. ووبهذا يتحول الماء في القصة من عنصر بيئي إلى قيمة أخلاقية ومعرفية، تتعلق مباشرة باستمرار الحياة على كرة الأرض.

### العدالة البيئية وتوازن الكائنات

تمنح القصة رؤية فلسفية عميقة حول مفهوم العدالة البيئية، من خلال التأكيد على أن جميع الكائنات تشترك في الحق في الوجود والحياة، بغض النظر عن حجمها أو موقعها في السلسلة البيئية. ويرسخ النص عن هذه الفكرة بتشبيهه بالغ الدلالة كما تصور القصة: "كلا.. الكون يشبه الشجرة.. أنتم تعيشون على أفنانها، ونحن نعيش في جذورها"<sup>5</sup>. "يحيل هذا التصوير إلى تصور كوني تام، يرى البيئة نظاما متكاملًا لا يمكن فصل عناصره بعضها عن بعض. فالإنسان ليس مركز الكون، بل جزء من شبكة معقدة من العلاقات الحيوية، وأي خلل تافه يحدثه في أحد عناصرها ينعكس سلبا على الجميع. ومن هنا تبرز رسالة القصة في الدعوة إلى اهتمام التوازن البيئي، والاعتراف بالدور الحيوي الذي تؤديه الحيوانات والكائنات الأخرى في استقرار النظام البيئي.

### نقد الغرور الإنساني والدعوة إلى الوعي العلمي

وجدي الأهدل لا يكتفي بالطرح البيئي، بل يوجه نقدا بارزا للإنسان بوصفه كائنا متغطرسا أساء استخدام المعرفة والقوة، وهو ما يعبر عنه النص بلهجة توبيخية واضحة كما تصور القصة: "هل سمعت عن الغرور الآدمي؟ ذلك الغرور الذي أدى إلى نفيكم إلى هذا الكوكب"<sup>6</sup>. "يتجاوز هذا العيب الزمن الماضي ليمتد إلى الواقع المعاصر، حيث لا يزال الإنسان يكرر الأخطاء نفسها من خلال تلويث البيئة واستنزاف الموارد الطبيعية. ومن خلال هذا النقد، تحث القصة القراء على تبني وعي علمي حقيقي قائم على الدراسة المنهجية لمصادر المياه والبيئة، بوصف ذلك شرطا أساسيا لتحقيق حياة آمنة ومستقرة على كرة الأرض. وهكذا تتجسد قصة "دومة" كنص أدبي يمنح رسالة

<sup>4</sup> المصدر السابق

<sup>5</sup> المصدر السابق

<sup>6</sup> لمصدر السابق

معرفية وأخلاقية، تختلط بين السرد والفكر، وترسخ أن الأدب قادر على الإسهام في بناء الوعي البيئي والإنساني في آن واحد.

## الخاتمة

تبرز نتائج هذه الدراسة أن قصة "دومة" للكاتب وجدي الأهدل تمثل نصا سرديا غنيا بالدلالات البيئية والإنسانية، عندما استطاع الكاتب أن يجعل من المكان الطبيعي مركزا أساسيا لبناء رؤيته الفكرية والنقدية. فقد تحولت بئر برهوت في القصة من مجرد موقع جغرافي إلى رمز لقوة البيئة وعمقها وغموضها، في مقابل هشاشة الإنسان وحدود معرفته، مهما بلغ من التقدم العلمي. كما برزت القصة عن رؤية نقدية حادة للغرور الإنساني الذي أدى إلى استنزاف الموارد البيئية والإخلال بالتوازن الطبيعي.

وكشفت الدراسة أن الخطاب السردى في قصة "دومة" يقوم على الدعوة إلى العدالة البيئية، والترسيخ على تكامل أدوار جميع الكائنات الحية في النظام الكوني، وأن الإنسان ليس محور الكون ولا سيده المطلق، بل جزء من شبكة بيئية واسعة. ومن خلال الجمع بين المعرفة العلمية والرمز والأسطورة، يقدم الكاتب وجدي الأهدل نصا أدبيا يساهم في توسيع أفق الوعي البيئي داخل الأدب العربي.

وبناء على ذلك، يمكن القول إن قصة "دومة" تصور إضافة نوعية إلى الأدب العربي البيئي المعاصر، لما تحمله من دعوة واضحة إلى إعادة النظر في علاقة الإنسان بالبيئة، وإلى تبني سلوك علمي وأخلاقي مسؤول في التعامل مع الموارد البيئية، خصوصا المياه. كما ترسخ الدراسة أن الأدب يظل أداة فاعلة في مواجهة الأزمات البيئية، وفي تأكيد ثقافة تحترم البيئة بوصفها شرطا أساسيا لاستمرار الحياة والتوازن على كرة الأرض.

## المصادر والمراجع

- الأهدل، وجدي. "دومة". بربر الثقافي. (2018). تاريخ المراجعة: 2018/09/24.  
<http://alantologia.com/blogs/3228/>
- السعود، راتب سلامة. الإنسان والبيئة دراسة في التربية البيئية. [د.ط.]. عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2016م.
- الحفيظ، عماد محمد ذياب. البيئة: حمايتها تلوثها مخاطرها. [د. ط.]. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2009م.
- الحمد، رشيد. ومحمد سعيد صباريني. البيئة ومشكلاتها. [د. ط.]. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1990م.
- Buell, Lawrence. The Environmental Imagination: Thoreau, Nature Writing and the Formation of American Culture. London: The Belknap Press of Harvard University Press, 1995.
- Ganaie, Altaf Ahmad. Literature and Ecology: An Experiment in Ecocriticism. Vol. 4. Pune Research: An international Journal in English, 2018. Print.
- Glotfelty, Cheryl., and Harold Fromm. The Ecocriticism Reader: Landmarks in Press, 1996. Georgia of Literary Ecology. Georgia: University